الإمامُ الصّادقُ في تفسيرِ روح المعانِي

الأستاذ الدكتور
عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة - كلّيَة التربية الأساسيَة
Isamk.shnawa@uokufa.edu.iq

المقدّمة:

لقد زخرت تفاسيرُ الإمامية قديما وحديثا بآلاف الأحاديث المرويّة عن أهل بيت العصمة ولا سيّما الإمام الصادق عليه السلام في تفسير آيات القرآن وبيان معاني كلماته، كيف لا وهم عدل القرآن وفي بيوتهم نزل؟!، فالقرآن وأهل البيت هما الثقلان اللذان خلّفهما رسول الله فينا، وفي مدى ارتباط أهل البيت بالقرآن قال صلى الله عليه وآله: "هم مع القرآن، والقرآن معهم، لا يفارقونه حتى يردوا عليّ الحوض"(١)، وقد نهى صلى الله عليه وآله عن تقدّمهما قائلا: " ولا تَقَدَّموهما فتَهلكوا، ولا تُعلّموهما فإنّهما أعلمُ منكم"(٢).

أما تفاسير العامّة فلم يخلُ أغلبُها من الرجوع إلى أقوال أهل البيت والنهل من معينهم، ولكن استشهادها كان قليلا جدا إذا ما قِيستْ بتفاسير الإماميّة، وهي متفاوتة فيما بينها في الاستشهاد بأقوال الإمام الصادق عليه السلام.

ويُعَدُّ تفسيرُ روح المعاني للآلوسيّ أكثرَ تفاسير العامّة رجوعًا إلى الإمام الصادق واستشهادًا بأقواله؛ إذ بلغ ذكرُ الإمام عليه السلام في هذا التفسير أكثرَ من ثمانين مرة في مواطن متفرقة، ورد أغلبها بلقبه (الصادق)، وأحيانا باسمه (جعفر بن محمد).

وقد نوّع الآلوسي في تفسيره الأخذَ من الإمام الصادق عليه السلام، فتارة ينقل عنه تفسير آية كاملة وتارة تفسير كلمة وبيان معناها، وتارة ينقل عنه فيمن نزلت الآية القرآنية، وتارة يروي عنه أمورًا غيبية أو ينقل عنه حكمًا شرعيًا، وتارة يروي قراءته إذا كانت اللفظة القرآنية قد قُرِئتْ بأكثرَ من قراءة، وتارة يروي عنه عن آبائه، وأحيانا ينقل ما رُوِيَ عنه فيردُّه أو ينفيه.

وقد حاول البحثُ تفصيلَ ما تقدّم ذكرُه مُعزّزا بالآيات القرآنية مُستشهِدا بما نقله مفسِّرو العامّة ولاسيّما الآلوسيّ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسيرها.

التمهيد:

الإمام الصادق في تفاسير السنة

لم تكن تفاسير السنة على مستوى واحد من ناحية الاستشهاد بأقوال الإمام الصادق عليه السلام، واستشهادُها بأقواله قليلٌ جدا إذا ما قيست بتفاسير الإمامية أو باستشهاد هذه التفاسير بأقوال الصحابة والتابعين من غير الإمامية.

فمن التفاسير ما يكاد ينعدم استشهادها بأقوال الإمام؛ إذ لم تذكر الإمام سور مرة واحدة نحو تفسير القشيري الذي لم يذكر الإمام الصادق سوى مرة واحدة، وذلك في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ الأنبياء (٨٣) إذ روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: حَبَسَ عنه الوحيَ أربعين يوماً فقال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ لما لحِقَه من الضعف بقيام الطاعة فاستجاب إليه بأنْ ردَّ عليه قُوَّتَه ليقوم بحقِّ الطاعة[٣].

وممن روى عن الإمام الصادق مرة واحد أيضا تفسير القطان، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف (١٩٩) إذ ذكر أنه رُوِي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ((ليس في القرآن آيةٌ أجمعَ لمكارم الأخلاق من هذه))[٤].

وزاد عليهما قليلا تفسير الثعالبي إذ روى عن الإمام الصادق ثلاث مرات، منها ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة ٢٧٥، إذ روى عن الإمام في تفسير الآية الكريمة أنه: وحرم اللَّه الربَا؛ ليتقارض النَّاسُ[٥]، وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الرحمن ٣١، روى عن الإمام في سبب تسمية الإنس والجن بالثقلين أنه قال: سُمِّيَ الإنْسُ والجِنُّ ثَقَلَيْنِ؛ لأنَّهما ثَقُلاَ بالذنوبِ[٦].

وقريب منه تفسير النسفي، ومما رواه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ آل عمران ١٩٣ إذ روى عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: من حزبه أمر فقال خمس مرات: ((ربنا))، أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد[٧].

ومثلهما تفسير زاد المسير، ومما رواه عن الإمام الصادق ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الشعراء ١،٢ إذ ذكر عددا من الآراء التي قيلت في معنى

(طسم) ومنها ما نسبه إلى الإمام الصادق وهو أن الطاء شجرة طوبى، والسين: سدرة المنتهى، والميم: محمد ﷺ(٨).

ومن التفاسير ما وصل استشهادها بأقوال الإمام إلى عشرات المرات، نحو تفسير الكشف والبيان للثعلبي وتفسير القرطبي وتفسير البحر المحيط لأبي حيان وغيرها.

وبعد استقراء ما ورد عن الإمام الصادق في هذه التفاسير وجد الباحث أن أكثر تفاسير العامة استشهادا بأقوال الإمام هو تفسير روح المعاني للآلوسي؛ إذ بلغت الروايات المنسوبة إلى الإمام الصادق في هذا التفسير أكثر من ثمانين رواية، ولعل السبب في ذلك هو تأخر الآلوسي ونقله أغلب ما أورده المفسرون عن الإمام في تفاسيرهم.

المبحث الأوّل

روايات الإمام الصادق التفسيريّة

تتعدد الآراء التفسيرية في روح المعاني باختلاف المفسرين واختلاف مشاربهم، ويحاول الآلوسي أن يحيط بأغلب ما ذكروه في تفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وممن روى عنهم الآلوسي الإمامُ الصادق؛ إذ استشهد بعدد من الروايات المروية عنه في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية أو سبب نزول آية.

ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة ١) إذ ذكر الآلوسي عددا من الآراء في معنى لفظة العالمين الواردة في الآية الشريفة قائلا: " وبعضهم خص (العالمين) بذوي العلم من الملائكة والثقلين ورب أشرف الموجودات رب غيرهم قال الإمام الأسيوطي: وعليه هو مشتق من العلم وعلى القول بالعموم من العلامة، وفيه أن الكل في كل محتمل والتخصيص دعوى من غير دليل وقيل هم الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١) " ثم أورد رأيا نسبه إلى الإمام الصادق قائلا: " وقيل هم الإنس لقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٦٥) وهو المنقول عن جعفر الصادق والمأخوذ من بحر أهل البيت ورب البيت أدرى، ولعل الوجه فيه الإشارة إلى أن الإنسان هو المقصود بالذات من التكليف بالحلال والحرام وإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولأنه فذلكة جميع الموجودات ونسخة جميع الكائنات المنقولة من اللوح الرباني

بالقلم الرحمان"[٩].

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ (البقرة ١٦٥) ، أورد الآلوسي عددا من الآراء في معنى (الأنداد) منها أنها الأمثال والمراد بها الأصنام كما هو الشائع في القرآن، والمروي عن قتادة ومجاهد وأكثر المفسرين، ثم أورد رأيا ذكر أنه منسوب إلى : الرؤساء الذين يطيعونهم طاعة الأرباب من الرجال، وروي عن السدي ونسب إلى الصادق رضي الله تعالى عنه وقيل: المراد أعم منهما وهو ما يشغل عن الله تعالى والمعنى: ومن الناس من يتخذ متجاوزين الإله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة أمثالاً فلا يقصرون الطاعة عليه سبحانه بل يشاركونهم إياه، وإيثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غِبّ تعيينه بالصفات [١٠].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة ٢٠٥) ذكر الآلوسي عددا من الآراء في تفسير كلمتي الحرث والنسل الواردتين في الآية قائلا: " والحرث الزرع والنسل كل ذات روح يقال نسل ينسل نسولاً إذا خرج فسقط، ومنه نسل وبر البعير أو ريش الطائر، وسمي العقب من الولد نسلاً لخروجه من ظهر أبيه وبطن أمه، وذكر الأزهري/ أن الحرث هنا النساء والنسل الأولاد، ثم نقل رأي الإمام الصادق فيهما وهو أن الحرث في هذا الموضع الدين والنسل الناس[١١].

وأورد الآلوسي عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة ٢) أن البر الإيمان والتقوى الإخلاص والإثم الكفر والعدوان المعاصي[١٢].

ومنه ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء ٦٥)، فقد ذكر الآلوسي أنه روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: " لو أن قوماً عبدوا الله تعالى وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا صنع خلاف ما صنع، أو وجدوا في أنفسهم حرجاً لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية"[١٣].

ومنه أيضاً ما أورده الآلوسي في تفسير لفظة (سيدا) في قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ (آل عمران ٣٩) ذاكرا عددا من الآراء فيها منها رأي الإمام الصادق وهو أنه المباين للخلق وصفا وحالا وخلقا الذي غلب عليه نور هيبة عزة الحق، ونقل عن غيره أنه الذي جاد بالكونين طلباً لربه، أو هو المتحقق بحقيقة الحق أو هو من خلا عن أوصاف البشرية وحلى بنعوت الربوبية(١٤).

ومنه كذلك ما ورد في تفسير الحروف المقطعة ((الم)) الواردة في الآية الأولى من سورة البقرة، فقد نقل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: " في الألف ست صفات من صفات الله تعالى الابتداء والله تعالى هو الأول والاستواء والله تعالى هو العدل الذي لا يجور والانفراد والله تعالى هو الفرد وعدم الاتصال بحرف وهو سبحانه بائن عن خلقه وحاجة الحروف إليها مع عدم حاجتها وأنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني ومعناها الألفة وبالله تعالى الائتلاف"(١٥).

وكذلك في قوله سبحانه: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن ٤، فقد ذكر الآلوسي عددا من الآراء في بيان معنى (البيان) منها قول الضحاك إنه الخير والشر، وقول ابن جريج إنه سبيل الهدى وسبيل الضلالة، وقول يمان إنه الكتابة، وجوز أن يراد به القرآن وقد سماه الله تعالى بياناً في قوله سبحانه: ﴿هَذَا بَيَانٌ﴾ (آل عمران: ١٣٨) وقول قتادة: (الإنسان) آدم. و (البيان) علم الدنيا والآخرة، وقيل: (البيان) أسماء الأشياء كلها. وقيل: التكلم بلغات كثيرة، ثم أورد رأيا نسبه إلى الإمام الصادق وهو أن البيان: الاسم الأعظم الذي علم به كل شيء(١٦).

وروى الآلوسي عن الإمام الصادق وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ١٨٠) أن الآية نزلت في مانعي الزكاة وهو الظاهر عنده، " وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته التي نطقت بها التوراة "(١٧).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (هود ٤٤) ذكر الآلوسي أنه " جاء عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أن نوحاً عليه السلام لما حمل من حمل في السفينة رأت البهائم والوحش والسباع العذاب فجعلت

تلحس قدمه عليه السلام وتقول: احملنا معك فيقول: إنما أمرت أن أحمل من كل زوجين اثنين ولم يحملها".[١٨]

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف ٨٢) اختلف المفسرون في الأب الصالح هل هو والدهما المباشر أو لا، قال الآلوسي: "الظاهر أنه الأب الأقرب الذي ولدهما، وذكر أن اسمه كاشح وأن اسم أمهما دهناً، وقيل: كان الأب العاشر، وعن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه أنه كان الأب السابع. وأياً كان ففي الآية دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بالأبناء"[١٩].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه (١٥)) ذكر الآلوسي أنه روي عن ابن عباس وجعفر الصادق رضي الله تعالى عنهما أن المعنى أكاد أخفيها من نفسي معلقا عليه بقوله: ويؤيده أن في مصحف أبي كذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء (٨٨) ذكر الآلوسي اختلاف المفسرين في مدة بقاء يونس في بطن الحوت، فذكر أنه قذفه إلى الساحل بعد ساعات وقول الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية، وروى عن قتادة أنه بقي في بطنه ثلاثة أيام وهو الذي زعمته اليهود، ثم ذكر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه بقي سبعة أيام[٢٠].

المبحث الثاني

روايات الإمام الصادق غير التفسيريّة

وأقصد بالروايات غير التفسيرية الروايات التي لم تُروَ عن الإمام الصادق عليه السلام لتفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وإنما رُويت لذكر قضية تاريخية أو ذكر حكم شرعي.

ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران ٤٤، فقد ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله عز وجل إلا خرج سهم المحق، وقال أي قضية أعدل من القضية إذا فوض الأمر إلى الله سبحانه، أليس الله تعالى يقول: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾؟ (الصافات: ١٤١).

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يوسف (٤)، فقد ذكر الآلوسي أنه روي عن جعفر الصادق عليه السلام "أن رؤية القمر تؤوّل على أحد سبعة عشر وجهاً، ملك. أو وزير أو نديم الملك. أو رئيس. أو شريف. أو جارية. أو غلام. أو أمر باطل. أو وال. أو عالم مفسد. أو رجل معظم. أو والد. أو والدة. أو زوجة. أو بعل لها. أو ولد. أو عظمة"(٢١).

ومنه أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور (٦١)، إذ روى الآلوسي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: " من عظم حرمة الصديق أن جعله الله تعالى من الأنس والثقة والانبساط ورفع الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ "(٢٢).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب (٤٠) ذكر الآلوسي أنه روي أن سديراً الصيرفي سأل جعفرا الصادق عليه السلام فقال: جعلت فداك إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت حتى قال بعضهم: إن الإمام ينكت في أذنه، وقال آخرون: يوحى إليه، وقال آخرون: يقذف في قلبه، وقال آخرون: يرى في منامه، وقال آخرون: إنما يفتي بكتب آبائه فبأي جوابهم آخذ يجعلني الله تعالى فداك؟ قال: لا تأخذ بشيء مما يقولون يا سدير نحن حجج الله تعالى وأمناؤه على خلقه حلالنا من كتاب الله تعالى وحرامنا منه (٢٣).

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ سبأ (١١) ذكر الآلوسي اختلاف الروايات في الوقت الذي كان يستغرقه النبي داوود في عمل الدرع والسعر الذي يبيعه فيه، منها أنه عليه السلام كان يرفع في كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم ألفان له ولأهله وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل الخبز الحواري، وقيل: كان

يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء، ثم نقل من ((مجمع البيان)) عن الصادق عليه السلام أنه عمل ثلاثمئة وستين درعاً فباعها بثلاثمئة وستين ألف درهم فاستغنى عن بيت المال.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فصلت (١٢) قال الآلوسي: "وأما خلق السموات وما بينها وبين الأرض فلم يذكر في الآية مدة له وإنما ذكر مدة قضاء السموات وهو غير خلقها ومدة جعل الرواسي وتقدير الأقوات وإحداث البركة وذلك غير خلق الأرض وما بينها وبين السماء فلا تنافي بينها وبين الآيات الدالة على أن خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ولا يعكر على ذلك ما روي عن الصادق أن الله سبحانه خلق في يوم الأحد والإثنين الأرضين وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء وخلق السموات في يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أقواتها يوم الجمعة وذلك قول الله سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الفرقان: ٥٩) لأنه بعد تسليم صحته المذكور فيه أن الأقوات قد خلقت في يومين لا أنها قدرت وبين الخلق والتقدير بون بعيد؛ فخلق الأقوات عبارة عن إيجاد ذاتياتها وموادها وعللها وأسبابها فإذا وجدت قدرت وفصلت على الأطوار المعلومة فلا إشكال"[٢٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران (١٩٤) روى الآلوسي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: من أحزنه أمر فقال: ربنا ربنا خمس مرات نجاه الله تعالى مما يخاف وأعطاه ما أراد، وقرأ هذه الآية[٢٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التوبة (١١١) ذكر الآلوسي أنه نقل عن الأصمعي أنه أنشد للصادق رضي الله تعالى عنه:

أثامن بالنفس النفيسة ربها	فليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها اشترى الجنات أن أنا بعتها	بشيء سواها إن ذلكم غبن
إذا ذهبت نفسي بدنيا أصبتها	فقد ذهبت مني وقد ذهب الثمن

ثم علق قائلا: " والمشهور عنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة

فلا تبيعوها إلا بها، وهو ظاهر في أن المبيع هو الأبدان ".

المبحث الثالث

القراءات القرآنيّة التي نسبها الآلوسيُ إلى الإمام الصادق

لم تخلُ أغلب التفاسير من ذكر القراءات القرآنية لألفاظ القرآن ونسبتها إلى قرّائها والتعليق عليها وبيان المعاني التي تؤديها، وتفسير الآلوسي ليس بدعا من التفاسير التي سبقته، فقد ذُكر فيه كثير من القراءات القرآنية، ومنها القراءات المنسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ أورد الآلوسي عددا منها، مبيّنا المعنى الذي تؤديه ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة (٦) إذ ذكر الآلوسي أن الإمام جعفر الصادق قرأ (صراط المستقيم) بالإضافة [٢٦].

ومن ذلك أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المائدة (٨٩) فقد ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قرأ (أهاليكم) قائلا: " بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالألف وهو أيضاً جمع أهل على خلاف القياس كليال في جمع ليلة "[٢٧].

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام (٣٣)، إذ ذكر أن الإمام جعفرا الصادق وغيره قرؤوا (لاَ يُكْذِبُونَكَ) من الإكذاب، وأن الجمهور قالوا: كلاهما بمعنى كأكثر وكثر وأنزل ونزل؛ وقيل: معنى أكذبته وجدته كاذباً كأحمدته بمعنى وجدته محموداً، ونقل أحمد بن يحيى عن الكسائي أن العرب تقول: كذبت بالتشديد إذا نسبت الكذب إليه وأكذبته إذا نسبت الكذب إلى ما جاء به دونه[٢٨].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ الكهف (١٨) إذ ذكر الآلوسي لكلمة (كلبهم) قراءات كثيرة أوردها عن القراء ومنها قراءة الإمام جعفر الصادق (وكالبهم) بباء موحدة وزنة اسم الفاعل والمراد صاحب كلبهم كما تقول لابن وتامر أي صاحب لبن وتمر[٢٩].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ الأحزاب (٣٧)، إذ نقل عن الإمام جعفر الصادق وأجداده عليهم السلام (زوجتكها) بتاء الضمير للمتكلم وحده[٣٠].

وذكر الآلوسي أن عددا من المفسرين ادعوا زيادة (عن) في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الأنفال (١) مستدلين بقراءة الإمام الصادق وغيره (يَسْأَلُونَكَ الأنفال) بحذف (عن)، ثم علق قائلا: "... وليست دعوى زيادة (عَنْ) في القراءة المتواترة لسقوطها في القراءة الأخرى أولى من دعوى تقديرها في تلك القراءة لثبوتها في القراءة المتواترة بل قد ادعى بعض أنه ينبغي حمل قراءة اسقاط (عَنْ) على ارادتها لأن حذف الحرف وهو مراد معنى أسهل من زيادته للتأكيد، على أنه يبعد القول بالزيادة هنا الجواب بقوله تعالى: (قُلِ الانفال لِلَّهِ والرسول) فإنه المراد به اختصاص أمرها وحكمها بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيقسمها النبي عليه الصلاة والسلام كما يأمره الله تعالى من غير أن يدخل فيه رأي أحد"[٣١] وذكر الآلوسي عددا من القراءات التي قرئ بها قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ التوبة (١١٨)، ومنها قراءة الإمام الصادق وغيره إذ روى عنه أنه قرأ (خالفوا) بزيادة الألف[٣٢]، وتحويل الفعل من المبني للمفعول إلى المبني للفاعل.

ومسألة زيادة الألف في القراءات القرآنية وتأثيرها في البنية والدلالة وردت في العشرات من القراءات القرآنية ولم تقتصر على قراءة الإمام عليه السلام[٣٣].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ذكر الآلوسي أنه روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قرأ (وتعزروه) بفتح التاء وكسر الزاي مخففاً[٣٤].

وذكر الآلوسي أن الإمام الصادق قرأ قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ يوسف (١٢) قرأه (نرتع ويلعب) بقلب الياء نونا ونسبة الفعل الأول إليهم والفعل الآخر إلى يوسف عليه السلام[٣٥].

ومسألة قلب بعض الحروف إلى حروف أخرى مشابهة لها في الرسم كثيرة الورود في القراءات القرآنية، وقد درسها الباحث في بحث مستقل ووجد أكثر من مئة قراءة اختلفت

بسبب عدم تنقيط حروف العربية آنذاك[٣٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف (٤٩) ذكر الآلوسي أن الإمام جعفر بن محمد الصادق وغيره قرؤوا (يُعصَرون) على البناء للمفعول... من عصره الله تعالى إذا أنجاه أي ينجيهم الله سبحانه مما هم فيه من الشدة، وهو مناسب لقوله: (يغاث الناس)[٣٧].

وروى الآلوسي أن الإمام الصادق وغيره قرؤوا قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ الفرقان (١٨) قرؤوه " (يُتّخَذَ) مبنياً للمفعول وخرج ذلك الزمخشري على أنه من اتخذ المتعدي إلى مفعولين والمفعول الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل والثاني (مِنْ أَوْلِيَاء)"[٣٨].

المبحث الرابع

روايات الإمام الصادق عن آبائه

ذكر الآلوسيّ في تفسيره عددا من الأحاديث والروايات التي يرويها الإمام الصادق نقلا عن آبائه عليهم السلام، من ذلك ما ورد في الحديث عن البسملة في تفسير سورة الفاتحة ذكر الآلوسي أن الثعلبي روى بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله: " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول: إذا قمت إلى الصلاة؟ قال: أقول الحمد لله رب العالمين قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم"[٣٩].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران (٦١) ذكر الآلوسي أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي))، ثم علق الآلوسي على الرواية قائلا: " وهذا الذي ذكرناه من دعائه صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأربعة المتناسبة رضي الله تعالى عنهم هو المشهور المعول عليه لدى المحدثين"[٤٠]، ثم ذكر أن ابن عساكر أخرج عن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله تعالى عنهم ((أنه لما نزلت هذه الآية جاء بأبي بكر وولده وبعمر وولده وبعثمان وولده وبعلي وولده))، وفي هذه الرواية

من الغرابة ما جعلت الآلوسي يعلق عليها قائلا: " وهذا خلاف ما رواه الجمهور"[٤١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف (١٢) ذكر الآلوسي أن أبا نعيم في ((الحلية)) والديلمي أخرجا " عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله ﷺ قال: " أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس قال الله تعالى له: اسجد لآدم فقال: أنا خير منه " الخ. قال جعفر: فمن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه أتبعه بالقياس"[٤٢] ثم ذكر الآلوسي أنه استُدِلّ بهذا ونحوه من منع القياس مطلقاً، وأجيب عن ذلك بأن المذموم هو القياس والرأي في مقابلة النص أو الذي يعدم فيه شرط من الشروط المعتبرة وتحقيق ذلك في محله.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ الأعراف ١٤٥، ذكر الآلوسي أنه " اختُلِف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها وكاتبها فقيل كانت عشرة ألواح، وقيل: سبعة، وقيل: لو حين، قال الزجاج: ويجوز أن يقال في اللغة للوحين ألواح وأنها كانت من زمرد أخضر، أمر الرب تعالى جبريل عليه السلام فجاء بها من عدم، وروى ذلك عن مجاهد، وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريرج قال: أخبرت أن الألواح كانت من زبرجد، وعن سعيد بن جبير قال: كانوا يقولون إنها كانت من ياقوتة وأنا أقول: إنها كانت من زمرد " ثم قال: " وأخرج ابن أبي حاتم وغيره عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الألواح التي أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثني عشر ذراعاً))"[٤٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ هود (٤٤) ذكر الآلوسي أن معنى ابلعي " أي انشفي استعير من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي، وتخصيص البلع بما يؤكل هو المشهور عن اللغويين، وقال الليث: يقال: بلع الماء إذا شربه وهو ظاهر في أنه غير خاص بالمأكول، وذكر السيد أن ذلك مجاز، وأخرج ابن المنذر. وغيره عن وهب بن منبه أن البلع بمعنى الازدراد لغة حبشية، وأخرج أبو الشيخ عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه بمعنى الشرب لغة هندية "[٤٤].

ولما وصل إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف (٢) قال:

"وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه. والبيهقي في شعب الإيمان من طريق سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله تعالى عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ الخ ثم قال: " ألهم إسمعيل عليه السلام هذا اللسان العربي إلهاماً"(٤٥).

وفي معنى قوله تعالى: (قاصرات الطرف) الصافات ٤٨، قال الآلوسي: "أخرج ابن مردويه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في ذلك ((لا ينظرن إلا إلى أزواجهن)) ومتى صح هذا ينبغي قصر الطرف عليه"(٤٦).

المبحث الخامس

موقف الآلوسيّ من روايات الإمام الصادق

لم يتعامل الآلوسي بتحايد تام مع ما ينقله عن الإمام الصادق من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي مكذوبة على الإمام الصادق وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون)، على حدّ تعبيره، أو أن غيرها أقرب إليه منها.

ومما رواه الآلوسي مؤيدا لما يعتقده ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ النمل (١٦)، فحاول أن يصرف الوراثة عن معناها الحقيقي إلى المعنوي قائلا: " ﴿وَوَرِثَ سليمان دَاوُودَ﴾ أي قام مقامه في النبوة والملك وصار نبياً ملكاً بعد موت أبيه داود عليه السلام فوراثته إياه مجاز عن قيامه مقامه فيما ذكر بعد موته، وقيل: المراد وراثة النبوة فقط، وقيل: وراثة الملك فقط، وعن الحسن ونسبه الطبرسي إلى أئمة أهل البيت أنها وراثة المال، وتعقب بأنه قد صح " نحن معاشر الأنبياء لا نورث"(٤٧)..

ثم روى حديثا أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر " وروى محمد بن يعقوب الرازي في ((الكافي)) عن أبي البحتري عن أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال ذلك أيضاً، ومما يدل

على أن هذه الوراثة ليست وراثة المال ما روى الكليني عن أبي عبد الله أن سليمان ورث داود وأن محمداً ورث سليمان صلى الله عليه وسلم، وأيضاً وراثة المال لا تختص بسليمان عليه السلام فإنه كان لداود عدة أولاد غيره كما رواه الكليني عنه أيضاً، وذكر غيره أنه عليه السلام توفي عن تسعة عشر ابناً فالإخبار بها عن سليمان ليس فيه كثير نفع وإن كان المراد الأخبار بما يلزمها من بقاء سليمان بعد داود عليهما السلام فما الداعي للعدول عما يفيده من غير خفاء مثل وقال سليمان بعد موت أبيه داود ((يا أيها الناس)) الخ "[٤٨].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ. . .﴾ البقرة (١٣٦)، تكلم على معنى الأسباط الواردة في الآية، ثم قال: " واختلف الناس في الأسباط أولاد يعقوب هل كانوا كلهم أنبياء أم لا؟ والذي صح عندي الثاني وهو المروي عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وإليه ذهب الإمام السيوطي وألف فيه لأن ما وقع منهم مع يوسف عليه الصلاة والسلام ينافي النبوة قطعاً وكونه قبل البلوغ غير مسلم لأن فيه أفعالاً لا يقدر عليها إلا البالغون، وعلى تقدير التسليم لا يجدي نفعا على ما هو القول الصحيح في شأن الأنبياء وكم كبيرة تضمن ذلك الفعل وليس في القرآن ما يدل على نبوتهم"[٤٩].

وكذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ البقرة (١٤٢)، فقد ذكر الآلوسي أن الناس اختلفوا في مدة بقائه ﷺ مستقبلاً بيت المقدس ففي " رواية مالك بن أنس تسعة أشهر أو عشرة أشهر، وعن معاذ ثلاثة عشر شهراً، وعن الصادق سبعة أشهر، وهل استقبل غيره قبل بمكة أم لا؟ قولان: أشهرهما الثاني وهو المروي أيضاً عن الصادق رضي الله تعالى عنه"[٥٠].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء (٢٤) ناقش الآلوسي رأي الشيعة في زواج المتعة ذاكرا أن أبا نصير من الشيعة روى في صحيحه " عن الصادق رضي الله تعالى عنه أنه سئل عن امرأة المتعة أهي من الأربع؟ قال: لا ولا من السبعين "، فعلق قائلا: " وهو صريح في أنها ليست زوجة وإلا لكانت محسوبة في الأربع،

وبالجملة الاستدلال بهذه الآية على حل المتعة ليس بشيء كما لا يخفى"[٥١].

ومنه أيضاً ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر (٣٢)، فقد ذكر الآلوسي عددا من الآراء في المراد بالمصطفَين في الآية الكريمة منها أن المراد بالمصطفين علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم وإيراثهم القرآن جعلهم فاهمين معناه واقفين على حقائقه ودقائقه أمناء على أسراره، ثم ذكر أن الإمامية رووا عن الصادق والباقر عليهما السلام أنهما قالا: هي لنا خاصة وإيانا عني أرادا أن أهل البيت أو الأئمة منهم هم المصطفون الذين أورثوا الكتاب، واختار هذا الطبرسي الإمامي قال في تفسيره ((مجمع البيان)): وهذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء والإجتباء وإيراث علم الأنبياء عليهم السلام[٥٢].

وقد علق الآلوسي قائلا: " وربما يستأنس له بقوله عليه الصلاة والسلام: "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض... وحملهم على علماء الأمة أولى من هذا التخصيص ويدخل فيهم علماء أهل البيت دخولاً أولياً ففي بيتهم نزل الكتاب ولن يفترقا حتى يردا الحوض يوم الحساب، وإذا كانت الإضافة في (عِبَادِنَا) للتشريف واختص العباد بمؤمني هذه الأمة وكانت من للتبعيض كأن حمل المصطفين على العلماء كالمتعين، وعن الجبائي أنهم الأنبياء عليهم السلام اختارهم الله تعالى وحباهم برسالته وكتبه"[٥٣].

ومما ورد مخالفا لعقيدته فحاول تكذيبه أو رده ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ البقرة (٢٣٣) قال: " والمضارة مفاعلة من الضرر، والمفاعلة إما مقصودة والمفعول محذوف أي تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وأن تقول بعد أن ألفها الصبي أطلب له ظئراً مثلاً ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها، أو يأخذ الصبي منها وهي تريد إرضاعه أو يكرهها على الإرضاع وإما غير مقصودة، والمعنى: لا يضر واحد منهما الآخر بسبب الولد[٥٤].

ولما وجد رواية عن الأئمة تخالف ما ذهب قال: " ومن غريب التفسير ما رواه الإمامية عن السيدين الصادق والباقر رضي الله تعالى عنهما أن المعنى لا تضار والدة بترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها الرضيع ولا يضار مولود له بمنعه عن الجماع كذلك لأجل ولده، وحينئذٍ تتعين الباء للسببية، ويجب أن يكون الفعلان مبنيين للمفعول ولا يظهر وجه لطيف للتعبير بالولد في الموضعين، وتخرج الآية عما يقتضيه السياق، وبعيد عن الباقر والصادق الإقدام على ما زعمه هذا الراوي الكاذب"(٥٥).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ النساء (١١) ذكر الآلوسي أنه روي عن جعفر الصادق عليه السلام " أن حواء عليها السلام أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت أخرى وخبأتها ثم أخرى ودفعتها إلى آدم عليه السلام فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الأمر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل" فعلق عليه قائلا: ذكره بعضهم ولم أقف على صحته.

ومن ذلك ما نقله الآلوسي عن " ابن بابويه في كتاب ((التوحيد)) عن الصادق في حديث طويل أيضاً أنه قال: لعلك ترى أن الله تعالى لم يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين.... وفي كتاب ((الخصائص)) ما يكاد يفهم منه التعدد أيضاً الآن حيث روى فيه عن الصادق أنه قال: إن لله تعالى اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالماً غيرهم، وأني للحجة عليهم"(٥٦).

وهذا مخالف لما يعتقد به الآلوسي، لذا علق عليه قائلا: " ولعل هذا وأمثاله من أرض السمسمة وجابر ساوجاً بلقاً إن صح محمول على عالم المثال لا على هذا العالم الذي نحن فيه، وحمل تعدد آدم في ذلك العالم أيضاً غير بعيد، وأما القول بظواهر هذه الأخبار فمما لا يراه أهل السنة والجماعة، بل قد صرح زين العرب بكفر من يعتقد التعدد، نعم إن آدمنا هذا عليه السلام مسبوق بخلق آخرين كالملائكة والجن وكثير من الحيوانات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى"(٥٧).

وفي معنى قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ الواقعة ٣٧، ذكر الآلوسي أن ابن أبي حاتم أخرج

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (عُرُباً) كلامهن عربي، فعلق الآلوسي قائلا: ولا أظن لهذا صحة؛ والتفسير بالمتحببات هو الذي عليه الأكثر(٥٨).

وفي تفسير حمالة الحطب في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ المسدّ (٤) قال: "....وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان ثم روى رواية قال فيها: أخرج ابن عساكر عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله تعالى عنهما أن عقيل بن أبي طالب دخل على معاوية فقال معاوية له: أين ترى عمك أبا لهب من النار، فقال له عقيل: إذا دخلتها فهو على يسارك مفترش عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب"(٥٩).

ولم تُعجب الآلوسي هذه الرواية لأن فيها ذمًا لمعاوية فعلق عليها قائلا: "ولا أظن صحة هذا الخبر عن الصادق لأن فيه ما فيه"(٦٠).

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ التكاثر ٨، نقل الآلوسي روايتين ذكرهما العياشي من الإمامية الأولى عن الإمام الباقر والأخرى أن أبا عبد الله الصادق "قال لأبي حنيفة رضي الله تعالى عنه في الآية ما لنعيم عندك يا نعمان فقال القوت من الطعام والماء البارد فقال أبو عبد الله بئن أوقفك الله تعالى بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها أو شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه فقال أبو حنيفة فما النعيم قال نحن أهل البيت النعيم أنعم الله تعالى بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعدان كانوا مختلفين وبنا ألف الله تعالى بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد ان كانوا أعداء وبنا هداهم إلى الإسلام وهو النعمة التي لا تنقطع والله تعالى سائلهم عن حث النعيم الذي أنعم سبحانه به عليهم وهو محمد وعترته عليه وعليهم الصلاة والسلام"(٦١).

والروايتان تخالفان عقيدة الآلوسي لذلك ردّهما قائلا: " وكلا الخبرين لا أرى لهما صحة وفيهما ما ينادي عن عدم صحتهما كما لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد والحق عموم الخطاب والنعيم بيد أن المؤمن لا يثرب عليه في شيء ناله منه في الدنيا بل يسأل غير مثرب وإنما يثرب على الكافر كما ورد ذلك في حديث رواه الطبراني عن ابن مسعود"(٦٢)، ثم أتى بأحاديث استدل من خلالها على عموم الخطاب(٦٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ الشعراء ٨٠، ذكر الآلوسي أنه روي " عن جعفر الصادق عليه السلام أن المعنى وإذا مرضت بالذنوب فهو يشفيني بالتوبة " ولم يعجبه تفسير الإمام فعلق قائلا: " ولعله لا يصح وإن صح فهو من باب الإشارة لا العبارة"(٦٤).

خاتمة البحث:

درس الباحث تفسير روح المعاني واستقصى الروايات التي نقلها المفسر عن الإمام الصادق مصنفا إياها باحثا فيها، ولعل أهم ما توصل إليه البحث ما يأتي:

١- لم تخلُ أغلب تفاسير السنة من الرجوع إلى أقوال الإمام الصادق والنهل من معينه، ولكن استشهادها كان قليلا جدا إذا ما قِيستْ بتفاسير الإماميّة، فمن التفاسير ما كان رجوعها إليه واستشهادها بأقواله أكثر من غيرها نحو تفاسير القرطبي والثعلبيّ وأبي حيّان، ومنها ما كان استشهادها بأقواله قليلا جدّا نحو تفاسير الثعالبيّ والنسفي وزاد المسير، ومنها ما يكاد ينعدم استشهادها نحو القشيريّ والقطّان الذي لم يروِ عن الإمام الصادق عليه السلام سوى مرة واحدة.

٢- وجد الباحث أن تفسير الآلوسي أكثر تفاسير العامة استشهادا بأقوال الإمام الصادق عليه السلام، إذ بلغت الروايات المنسوبة إليه أكثر من ثمانين رواية، وأرجع الباحثُ السببَ في ذلك إلى تأخّر الآلوسي ونقله أغلب ما أورده المفسرون عن الإمام في تفاسيرهم.

٣- تتعدد الآراء التفسيرية في روح المعاني باختلاف المفسرين واختلاف مشاربهم، ويحاول الآلوسي أن يحيط بأغلب ما ذكروه في تفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وممن روى عنهم الآلوسي الإمامُ الصادق؛ إذ استشهد بعدد من الروايات المروية عنه في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية، لم يقتصر الآلوسي في تفسيره من روايات الإمام على الروايات التفسيرية، وإنما تعداها إلى غيرها فذكر روايات غير تفسيرية.

٤- لم تخلُ أغلب التفاسير من ذكر القراءات القرآنية لألفاظ القرآن ونسبتها إلى قرّائها والتعليق عليها وبيان المعاني التي تؤديها، وتفسير الآلوسي ليس بدعا من التفاسير التي سبقته، فقد ذُكر فيه كثير من القراءات القرآنية، ومنها القراءات المنسوبة إلى

الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ أورد الآلوسي عددا منها، مبيّنا المعنى الذي تؤديه.

٥- لم يكن الآلوسي على حياد مع ما ينقله عن الإمام الصادق من أقوال، فهو معها ما دامت توافق عقيدته ولا تخالف ما يذهب إليه ويتمذهب عليه، أما ما يخالف عقيدته من هذه الروايات فهي مكذوبة على الإمام الصادق وضعها الشيعة (عاملهم الله بما يستحقون) على حدّ تعبيره.

٦- أغلب الروايات التي يرويها مفسّرو العامة عن الإمام الصادق عليه السلام هي روايات مرسلة ولا نعرف مدى صحة وروده عنه، لذا يوصي الباحث بتحقيق تلك الروايات والتحقق من نسبتها إليه.

هوامش البحث

(١) بحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٠.
(٢) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال- المتقي الهندي - باب الاعتصام بالكتب والسنة، الحديث: ٩٤٦.
(٣) ينظر لطائف الإشارات للقشيري: ١٣٩/٥.
(٤) ينظر تيسير التفسير للقطان: ٩٥/٢.
(٥) ينظر جواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: ١٧٢/١.
(٦) ينظر المصدر نفسه: ٣٠/٤.
(٧) ينظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: ٢٠٣/١.
(٨) ينظر زاد المسير ٣١/٦.
(٩) روح المعاني: ٧٩/١.
(١٠) يُنظر روح المعاني: ٢/ ٣٤.
(١١) يُنظر روح المعاني: ٩٦/٢.
(١٢) يُنظر روح المعاني: ٦٨/٦.
(١٣) روح المعاني: ٧١/٥.
(١٤) يُنظر روح المعاني: ١٥٢/٣.
(١٥) روح المعاني: ١٠٣/١.

(١٦) يُنظر روح المعاني: ٢٧/ ٩٩.
(١٧) روح المعاني: ١٤٠/٤.
(١٨) روح المعاني: ٦٣/١٢.
(١٩) روح المعاني: ١٣/١٦
(٢٠) يُنظر روح المعاني: ٨٥/١٧.
(٢١) روح المعاني: ١٨٠/١٢.
(٢٢) روح المعاني: ٢٢٠/١٨.
(٢٣) يُنظر روح المعاني: ٢٠/٢٢.
(٢٤) روح المعاني: ١٠٩/٢٤.
(٢٥) يُنظر روح المعاني: ١٦٧/٤.
(٢٦) يُنظر روح المعاني: ٩٣/١.
(٢٧) روح المعاني: ١٢/٧.
(٢٨) يُنظر روح المعاني: ١٣٦/٧.
(٢٩) يُنظر روح المعاني: ٢٢٦/١٥.
(٣٠) يُنظر روح المعاني: ٢٦/٢٢.
(٣١) روح المعاني: ١٦٠/٩، ١٦١
(٣٢) ينظر: روح المعاني: ٤١/١١
(٣٣) ينظر: زيادة الألف في القراءات القرآنية وأثرها في البنية والدلالة (بحث)، الدكتور عصام كاظم الغالبيّ، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، عدد خاص، نيسان ٢٠١٣: ٢٤١-٢٥٦.
(٣٤) يُنظر روح المعاني: ٢٦/ ٩٦.
(٣٥) يُنظر روح المعاني: ١٩٤/١٢.
(٣٦) يُنظر أثر الرسم القرآني في اختلاف القراءات عدم التنقيط أنموذجا (بحث)، د. عصام كاظم الغالبي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العشرون: ٦٣ – ٧٩، وتنظر مصادره.
(٣٧) يُنظر روح المعاني: ٢٥٦/١٢.
(٣٨) روح المعاني: ٢٤٩/١٨
(٣٩) روح المعاني: ٤٠/١.
(٤٠) روح المعاني: ١٩٠/٣
(٤١) روح المعاني: ١٩٠/٣.
(٤٢) روح المعاني: ٨٩/٨.
(٤٣) روح المعاني: ٥٧/٩.

(٤٤) روح المعاني: ٦١/١٢.
(٤٥) روح المعاني: ١٧٢/١٢.
(٤٦) روح المعاني: ٢٧/ ١١٩.
(٤٧) روح المعاني: ١٧١/١٩.
(٤٨) روح المعاني: ١٩/ ١٧١.
(٤٩) روح المعاني: ٣٩٥/١.
(٥٠) روح المعاني: ٢/ ٣.
(٥١) روح المعاني: ٧/٥.
(٥٢) يُنظر روح المعاني: ١٩٥/٢٢.
(٥٣) روح المعاني: ١٩٥/٢٢.
(٥٤) ينظر: روح المعاني: ١٤٧/٢
(٥٥) روح المعاني: ١٤٧/٢
(٥٦) روح المعاني: ١٨١/٤.
(٥٧) روح المعاني: ٤/ ١٨١.
(٥٨) يُنظر روح المعاني: ٢٧/ ١٤٢.
(٥٩) روح المعاني: ٢٦٣/٣٠
(٦٠) روح المعاني: ٢٦٣/٣٠
(٦١) روح المعاني: ٢٢٦/٣٠
(٦٢) روح المعاني: ٢٢٦/٣٠
(٦٣) ينظر: روح المعاني: ٢٢٧/٣٠-٢٢٨
(٦٤) روح المعاني: ٩٧/١٩.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم

١- أثر الرسم القرآني في اختلاف القراءات عدم التنقيط أنموذجا (بحث)، د. عصام كاظم الغالبي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العشرون.

٢- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٣- تيسير التفسير، إبراهيم القطان، من مصادر المكتبة الألكترونية (الشاملة).

٤- جواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة - الشيخ علي محمد معوض - والشيخ عادل أحمد عبد الموجود الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان ١٤١٨هـ.

٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الآلوسي.

٦- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.

٧- زيادة الألف في القراءات القرآنية وأثرها في البنية والدلالة (بحث)، الدكتور عصام كاظم الغالبيّ، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، عدد خاص، نيسان ٢٠١٣

٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٩م.

٩- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، من مصادر المكتبة الشاملة.

١٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي.